من هوة الى هوة ..
بل من امل الى امل

ليس ما ينعش الامل العربي ويعيد الحرارة الى النفوس كالعمل الفدائي ، ولو فشل . وبصرف النظر عن الغايات والمكاسب الدعائية للمنظمات التي توجهه، فانه بحدذاته قيمة مزدوجة بالنظر لما يعطي من تعزيز للثقة العربية ، ولما يرمي به العدو من هبوط في المعنويات بالرغم من الشراسة الظاهرية التي يبديها على الفور .

وليس اجحافا بحق احدالقول ان هذا في الاصل والاساس كان «راس المال» الوحيد للعمل الفدائي، وهذا ما يفسر تعلق الناس به وانشدادهم اليه بالرغم من كل شيء . عملية واحدة من هذه العمليات الجريئة تمسح كثيرا من الاخطاء ، او على الاصح تخرس الالسن المستغلة للاخطاء .

وكما تفعل العمليات الفدائية فعلها المزدوج ، في رفع معنويات العرب وخفض معنويات العدو ، كذلك تفعل فعلها المزدوج في فضح المتاجرين بالعمل الفدائي وفي تحقير المتربصين به .

ولكن العجز الاساسي هو العجز عن جعله ارثا متراكما لا يعرف الا الصعود ، حتى لاتعود الاموركما كانت عليه قبل كل عملية ، وكاننا نبدأ من جديد في سلسلة متواصلة من التبديد . فيعود المتاجرون الى تجارتهم ويعود المتربصون الى اصطياد الاخطاء لتبديد المكاسب السابقة ; وهكذا دواليك .

وربما كان من اسباب ذلك تلك الهوة التي تفصل بين الدافع العظيم الذي يدفع الفدائيين الى الاستشهاد وبين نزعات الضيق والاستعجال والدخول في التسويات . او تلك الهوة بين حجم القضية وبين الواقع الذي هي فيه .

ولكن ذلك ليس شيئا فريدا في التاريخ، هي قصة مكتوبة ابدا .. قصة العقائد والرجال . خطورة العقائد بغير رجال تحملها في مستواها، كخطورة رجال تحمل المسؤوليات الجسام ولا هداية لها . الى ان يلتقيا فتحدث الثورة الكبرى . هكذا ولدت العوالم الجديدة من ثورة الاسلام الى الثورة البلشفية .

واما الشهيد المجهول الذي اقتحم ابواب الموت بالشجاعة والايمان والامل، فانه كان يدرك اي زرع يزرع بحياته ويسقي بدمه . ولن يذهب هباء مهما بلغ عتو امواج اليأس والتيئيس .

والدليل انهم يأتون افواجا افواجا . وسيأتون افواجا افواجا وسيردمون الهوة تلو الهوة تلو الهوة .. الى ان تستفيق الثورة الكبرى ويولد العالم الجديد .

سليمان الفرزلي